

بسم الله الرحمن الرحيم

المصالحة الوطنية بين ضرورات الدين وبناء الدولة الحديثة

أ.م.د.طلال حامد خليل
أ.م.د. حسن تركي عمير

المقدمة

بات موضوع المصالحة الوطنية من المواضيع التي تشغل قطاعات واسعة من مثقفي الدول وكتابها وبالاختصاصات كافة، لما لها من أهمية في بناء الدولة وتطورها، فالمصالحة الوطنية مطلب وضرورة دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية، لذا نجد أن الشرائع السماوية سعت إلى تنظيمه وبناء أسسه بدءاً من الأسرة وصولاً لمجتمع الدولة بمكوناتها كافة، فضلاً عن بيان أسس العلاقات بين الدول، فنظمت أسس التعايش السلمي والحث على التصالح ودرء الاختلاف لما فيه الصلاح والخير على الرغم من اختلاف هذه الشرائع من حيث البعدين الزمان والمكان.

فالمصالحة الوطنية مفهوم حضاري يؤسس لعلاقة سليمة داخل الإطار الواحد ويسهم في بناء الدولة وتطورها، ويتضح أن المصالحة ليست مجرد تعبير لمرحلة معينة، بل هي مشروع طويل الأمد وجد مرتكزاته ومبادئه في التعاليم الدينية، ومعني في المقام الأول بالحفاظ على الجماعة وإجماعها على القضايا التي تسهم في بناء الدولة الموحدة بأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

أهمية البحث

تتبع أهمية البحث من أهمية الموضوع، فهناك العديد من الدول تعاني من الاختلاف وعدم الانسجام الذي كلفها فرصاً وهدراً للإمكانيات، وعدم القدرة على تأطير بناء مؤسسي سليم يمكنها من استغلال مواردها في البناء والتطور، كما أن هناك دول مهددة بالانقسام والتجزئة وانفراط عقدها في الوقت الذي يسير فيه عالم اليوم إلى التكتل السياسي والاقتصادي وبناء علاقة المواطنة الحقيقية.

فرضية البحث

يتمحور البحث للإحاطة بفرضية مفادها (تعد المصالحة الوطنية كونها احد المسائل المؤصلة لثقافة التسامح والتنوع وبأبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية، من اهم القضايا التي يتوقف عليها بناء الدولة الحديثة)

مشكلة البحث

من المعلوم أن مفهوم المصالحة الوطنية قد أخذ مستويات عدة منها ما هو للاستهلاك الإعلامي، ومنها ما هو نابع من فهم حقيقي لخطورة عدم الانسجام المجتمعي وحالة

التقاطع التي تسود العلاقة بين مكوناته ، فضلا عن ان هناك من أخذ يعدها أساس لمعالجة كل المشكلات. الامر الذي يثير اشكاليات عديدة منها ، ان عنوان البحث واختياره لقضية اساسية (المصالحة الوطنية) يتجاوز تناول التقليدي من خلال عدها مسألة سياسية فقط .

امكانية ان يتشعب البحث الى مفارقات عدة وغير محددة قد تسهم في بيان ان المصالحة هدف بعيد او صعب المنال .

وهناك اشكالية اخرى تتحدد في ان الحديث عن المصالحة قد يفهم منه انها مطلقة وغير محددة بثوابت لا تقبل المفاصلة او المزايدة على حساب حقوق لفئات اجتماعية تضررت لفعل معين او سياسة بذاتها .

هيكلية البحث

تم تقسيم البحث إلى مبحثين، في المبحث الأول: حاولنا بيان معنى المصالحة وضرورتها الدينية من خلال استعراض موجز للمصالحة في الأديان السماوية اليهودية والنصرانية والإسلامية، إذ وقفنا أمام تلك الدعوات التي أسست منطلقات الفكر اليهودي للحيلولة دون تحقيق المصالحة وتحت ذرائع شتى، عرجنا على المصالحة عند النصارى وما اتسم به من روح الإخاء والتسامح، ثم استقضنا في شرح مضامين المصالحة في الدين الإسلامي الحنيف من خلال ما جاء في الخطاب القرآني المنزل بالوحي والسنة النبوية المطهرة التي تعبر عن أقوال وأفعال وتقرير رسول الإسلام وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ابن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

وتناول المبحث الثاني، توضيح أبعاد المصالحة الوطنية وأهمية وضرورة هذه الأبعاد في بناء الدولة الموحدة، كالبعد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وقد قادنا البحث في هذه الأبعاد إلى ضرورة العودة لأصل نشأة الدولة وبيان آثار المصالحة على بعض الدول اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.

وفي خاتمة البحث توصل الباحثان إلى جملة من الاستنتاجات والتوصيات التي يراها الباحثان من الأهمية وبما يخدم الأهداف الحقيقية والنوايا الصادقة التي تنشد المصالحة الوطنية الحقيقية.

المبحث الأول المصالحة في الأديان السماوية

إن عملية النظر والتطلع في سبر أغوار التاريخ البشري، توضح أن سعي بني آدم إلى العيش في سلام وإخاء ومحبة، كان الأمل الذي ينشده ويتوقون إليه في كل عصر وحين، وحينما تلقى ذات النظرة في جذور تاريخ الإنسانية، ندرك أن أيامها كما حفلت بألوان من الخصومات والحروب المتعاقبة والشورور المخيفة، فإنها كذلك انطوت على دعوات للمصالحة وتضع المعايير التي تراها كفيلة بتحقيقها، وقد بذلت مساع مختلفة على جهود المصالحة وطبيعة دعوتها، ومناهجها السلمية ومدى فعاليتها، وسنحاول في هذا البحث أن نتبع أهمها وفقاً لتاريخ الأديان السماوية.

المطلب الأول: المصالحة في الفكر اليهودي

مما لا شك فيه أن الدين قد أدى دور مهم وأساسي على مستوى حياة الفرد قديماً وحديثاً، واكتسبت أهميته في تلك الحياة الإنسانية من خلال ما قدمه من قيم ومبادئ أخلاقية للفرد، وقد اكتسب الدين للفرد اليهودي أهمية خاصة، إذ أصبح أساس حياته ومحور شخصيته اعتقاداً منه أن اليهودية ما هي إلا دين خاصاً به دون سواه.

تتبع فكرة المصالحة ومادتها من السلام والسعي للعيش في أمان، وفكرتي السلام والمصالحة ليس لها وجود في الفكر اليهودي قبل أن يحكموا العالم بحكومة تتمكن من فرض شروط المصالحة شريطة أن تكون هذه الحكومة يرأسها أشخاص من ذرية النبي داوود (عليه السلام) وتكون عاصمتها أورشليم أولاً، ثم تنتقل إلى روما إذا ما تم إسقاط جميع حكومات العالم^(١). وما لم يتم لهم ذلك فهم في عداً وأسر ونفي، لذا فإن عليهم العيش في حرب دائمة مع غيرهم ومع بني جلدتهم الذين يعادون هذه الفكرة، حتى ينتقل - حسب زعمهم - حكم وثراء العالم إليهم وحينئذ يدخل كل الناس في الديانة يهودية وهم صاغرين خانعين لأسرة الرب إلا المسيحيين^(٢).

ووسيلتهم في سبيل تحقيق ذلك، العمل بكل الوسائل المتاحة (فالغاية تبرر الوسيلة) فعليهم استعباد الأوطان، وإفساد الحكم، وزرع الفرقة بين الشعب الواحد والشعوب المختلفة وحكوماتها، والقضاء على الأديان والقوميات، وأثارت الحروب، وتقديم السلاح للمتحاربين بقصد استمرارية الحرب بينهم، وإثارة الاضطرابات الداخلية ومدتها بالأموال، ونشر الأفكار التي تحول دون المصالحة حسب مقتضيات الحاجة، والدعوة إلى

الإباحية والفوضوية وتقويض الأسر، من خلال المال والنهم والنساء والرغبات الأخرى فضلاً عن السيطرة على دور النشر والصحافة والإعلام في العالم^(٣).
وتتأصل في الفكر اليهودي معاني الاستعلائية (فاليهود شعب الله المختار) أما الشعوب الأخرى فلم يخلقهم (يهوه)^(٤) إلا لخدمة اليهود المكرمون على أية حال يكونون عليها، وكل ما على الأرض ملك لهم، وما سرقة منهم (الجويم)^(٥) يجب أن يعود بكل وسيلة^(٦).

لذا ليس على اليهودي شيء من كذبة أو غشه أو خدعة لغير اليهود ولا يلزمه يمين معهم، وبهذا المعنى فسر التلمود (الوصايا العشر) التي وردت بصيغتين أحدهما في سفر الخروج والأخرى في سفر التثنية، وهذه الوصايا التي أتت في سفر التثنية - الإصحاح الخامس هي^(٧):-

١. أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يمكن لك آلهة أخرى أمامي.
٢. أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي.
٣. لا تنطق باسم الرب الهك باطلاً.
٤. اذكر يوم السبت لتقدمه.
٥. أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض.
٦. لا تقتل.
٧. لا تزني.
٨. لا تسرق.
٩. لا تشهد على قريبك شهادة زور.
١٠. لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده ولا أمته ولا ثورة ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك.

إلا أن اليهود قالوا بان هذه الوصايا خاصة في التعامل بين اليهود فقط، ولا تعني تعامل اليهودي مع غير اليهودي، فأرواح غيرهم ليست لها حرمة ولا عصمة فمن العدل أن يقتل اليهودي كل أمي، فقد يكون ذلك الأمي من الكنعانيين الذين حكم عليهم (يهوه) بالهلاك يوم كانوا بأرض الميعاد^(٨)، وقد جاء في سفر التثنية (فصرباً تضرب سكان تلك المدينة بحر السيف، وتحرقها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلاً إلى الأبد لا تبني بعد)^(٩)، ثم أن اليهود مع هذا تصوروا سلباً شاملاً للعالم سيحدث على يد المخلص الذي سيظهر فيما بعد من الزمان وهو سيحقق العدل والأمن الذي سيتعاقب فيه العدو والصديق ويسير فيه الذنب إلى جنب الحمل، ويداعب الصغير الأفعى، وتحال الدنيا إلى سلام مطلق وشامل بين كل مخلوقات^(١٠) إلا انه سلام خاضع لحكم اليهود، ذلك لان غير اليهود سوف ينتهون فالسلام يتأتي من هلاك الأميين^(١١).

إن النظرة الاستعلائية لليهود كونهم (شعب الله المختار) جعل من وضعهم كأقليات اجتماعية في أوربا يغلب عليه طابع الانعزال وتجنب الاختلاط بباقي الشعوب، ويعيد

الكاتب رشاد عبدالله الشامي سبب هذه الانعزالية إلى الفترة التي لحقت أسرهم إلى بابل، وهناك من الكتاب من يرى الفترة الانعزالية التي طبعت الشخصية اليهودية إلى أقامتهم في مصر حين دبر النبي يوسف (عليه السلام) لقومه إقامة مستقلة لهم في ارض جاثان شرق دلتا مصر اليوم، وقد عاش اليهود في منأى عن بقية الشعوب داخل المجتمعات القديمة والوسيطه والحديثة وبأشكال تباينت من بلد إلى آخر (حارة اليهود في مصر، النقاغ في اليمن ، الملاح في مغرب ، الشتتل والقاهاال والجيتو في أوروبا الشرقية) (١٢).
إن تحليل لتاريخ اليهود يحيل إلى تلك السلوكيات النفسية التي طبعت شخصية اليهود فقد أسهمت عدة عوامل في تكوين شخصيتهم لعل أهمها :-

١. إن اغلب الأنبياء والرسل عليهم السلام جاءوا لبني إسرائيل، الأمر الذي يوضح العناد والمجادلة في الحق وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة.
٢. حالات الأسر والشتات وعيشهم أقلية في البلدان التي سكنوا فيها.
٣. النظرة الاستعلائية التي تتسم بها شخصية اليهود جعلهم شديدو الخوف والحرص على الانعزال بحجة نقاوة اليهود وعدم اختلاط جنسهم مع الأجناس الأخرى (الأميين - على حد زعيمهم).

٤. عدم إشراكهم في الحياة السياسية.
٥. عدم قدرتهم على الشعور بالانتماء سواء داخل إسرائيل أو خارجها .
٦. انقسامهم حول فكرة الوطن القومي لليهود.
٧. شعورهم بعدم الأمان الدائم وان كل ما يحيط بهم يمثلون أعداء لهم.
٨. السعي الحثيث لإقامة دولة إسرائيل الكبرى من(النيل إلى الفرات) وحكم العالم.
كل هذه العوامل أسهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في صيرورة الشخصية اليهودية ،حتى أصبح العنف الأداة التي يتوسل بها اليهود لإعادة صياغته الشخصية، فاليهودي وفقاً لهذه التصور يحتاج إلى ممارسة العنف لتحرير نفسه من نفسه، وكان الكاتب اليهودي (بن هكت) يشعر بسعادة في قرار نفسه في كل مرة يقتل فيها أبطاله شخصاً غير يهودي(على حد قوله) وكما يعبر جابوتسكي في قصيدته بعنوان(شارلوت المسكينة) ، فشارلوت تتخلص من رتابة حياتها وتروي تعطشها للعمل البطولي بان تقوم بتسديد ضربة إلى (جان مارا) فتريده قتيلاً، فالعنف يصبح مثل الطقوس الدينية التي تستخدمها بعض القبائل البدائية حينما يصل احد أفرادها إلى سن الرجولة، وكذلك العنف عند بن غوريون الذي يقوم بالوظيفة ذاتها في إعادة صياغة الشخصية اليهودية(١٣).

لعلنا لا نريد مما تقدم الغوص في تحليل الشخصية اليهودية بقدر ما نحاول بيان الفكر اليهودي ودوره في بناء مناقضات أسس المصالحة. وبالنظر إلى الحياة السياسية في إسرائيل، فقد شهدت الأصولية تنامياً واضحاً على الرغم من أنها حتى الآن لم تبلغ ذروتها، إلا أنها تظل القوة السياسية الأكثر تماسكاً وفاعلية ونفوذاً داخل إسرائيل، بالمقارنة إلى القوى الأخرى وانعكس هذا النفوذ في الأونة الأخيرة وبشكل واضح على مفاوضات السلام التي وصلت إلى طريق مسدود بسبب تعنت الجانب الإسرائيلي في طرحه، لاسيما قوة التطرف والتي تربط بين واقع الدين عن طريق تلك الحجج التي

تقدمها من ناحية، ومقتل إسحاق رابين رئيس الوزراء الصهيوني في عام ١٩٩٥ على يد المتطرف "ايغامير" الذي تشعب بفتاوى حاخامات اليهودية. من ناحية أخرى، فقد وصف فيها رابين بأنه خائن كافر، وفسر عمل عامير بأنه صاحب رسالة مقدسة، فضلاً عن وصف تلك القوى الأصولية مجزرة تولد اشتاين في الحرم الإبراهيمي عام ١٩٩٤ التي نجم عنها قتل العشرات في المصلين المسلمين بأنه عمل مقدس أيضاً ليصبح ضريح تولد اشتاين من الأماكن المقدسة اليهودية^(١٤).

المطلب الثاني: المصالحة عند النصارى

يفيد معنى المصالحة لدى النصارى العودة إلى علاقة صحيحة أو إحلال السلام، حيث كانت العداوة سائدة من قبل، ولا يتكلم الكتاب المقدس البتة عن حاجة الله إلى أن يتصالح مع الانسان، بل دائماً عن مصالحة الانسان مع الله، فالإنسان هو في حاجة لها^(١٥).

إن النصرانية في حقيقتها دعوة السلام الخالص والمصالحة التي تبدأ من الذات الفردية، ونبذ التخاصم والحروب وعدم استخدام السلاح أو القوة لأي سبب كان، فالأنجيل الأربعة مجمعة على أن من "يستخدم السيف يهلك فيه"^(١٦)، وقد جاء في إنجيل متي "طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء * الله يدعون"^(١٧) وقال سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، أما أنا فأقول لا تقادموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً^(١٨). وقد أطلقت هذه الصفات للمصالحة والسلام الإنساني وحضت على التسامح والمحبة، بعد أن كان المجتمع يعصف فيه التدمير والخصومات والقهر.

ظلت دعوة النصارى الدينية روحية خالصة للتهذيب الخلقي المجرد من غير تنظيم للحرب عند النصارى، إلا أن اصطدمت بحكم الإمبراطورية الرومانية بعد أن زحفت النصرانية إليها، إذ امتنع من دخل النصرانية من أداء الخدمة في الجيش والاشتراك في أي حرب واستمر الحال هكذا طيلة القرون الأربعة الأولى بعد ظهورها، ثم أخذت بالتراجع بعد اصطدامها بالواقع فقام القديس "إيزيدور الاشبيلي"^(١٩) يدعو لما يبرر قبول الحرب ويحاول التوفيق بين روح المصالحة المسالمة عند النصارى من جهة، وروح السيطرة العسكرية من جهة أخرى. على أن صاحب الأثر الكبير في ذلك هو القس أوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠م) الذي اعترف بمشروعية الحرب الدفاعية باعتبارها ضماناً للسلام، وقضاء على العدوان والشر^(٢٠). وهنا نتلمس الجذور الدينية لما عرف في عصرنا الحالي بالحرب الاستباقية الذي تمارسه الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الحاضر ضد شعوب العالم. إن فكرة أوغسطين قادت القديس توماس الاكويني إلى صياغة فكرة الحرب العادلة تم تلاها وعرف في أوروبا بنظرية الحرب العادلة والحرب غير العادلة ثم التوفيق بينهما، إذا أبيحت الأولى وحرمت الثانية^(٢١).

ويقول الدكتور حامد سلطان أن أوغسطين لم يبيح الحرب الدفاعية أو العادلة فقط، بل دعا إلى التخلي نهائياً عن الفكرة المسالمة التي قام على دعائها دين النصارى والتي أرست القواعد السليمة في المصالحة سواءً في المجتمع الواحد أو مع المجتمعات الأخرى، وهذا ما مثله واقع النصرانية بعد ذلك، فقد انقلبت إلى حرب دائمة بين معتنقيها وعلى غيرها بدلاً من السلام الأصيل نظرياً فيها، فأعلنت القهر والاضطهاد لمن خالفها ورفعت السلاح والموت للإكراه على العقيدة، وامتازت بالتعصب لديانتها ضد غيرها وشهد تاريخها ألواناً من البطش والتنكيل لكل من خالفها في العقيدة^(٢٢).

ولم يقتصر ذلك على الاضطهاد والتنكيل على أصحاب الديانات الأخرى بل كثيراً ما كان يدور أيضاً بين صنوف مذهبها المختلفة، وان ما عرف في التاريخ (بالمصالحة المسيحية) هو في الحقيقة ليس سلاماً نصرانياً، بل كان يسمى السلام الكنسي أو البابوي لأنه لم يقم على المثل النصرانية، بل على سلطة وقوة البابا والكنيسة عموماً^(٢٣)، فالنصرانية الحقيقية هي التي عبر القرآن الكريم على أتباعها بقوله تعالى: "وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحة"^(٢٤).

وخلاصة القول، إن الديانة النصرانية كانت دعوة للسلام والمصالحة، ولكن يجب أن لا تفهم بأنها بعيدة وخالصة من مشروعية الحرب والاختلاف، بل أن النصرانية بدعوتها إلى المصالحة الشاملة التي تبدأ من الذات هو تصور مثالي ولا يتفق إلا مع الكمال الإلهي المطلق، وهذا ليس كل إنسان يستطيع مجراته وتحقيقه لذلك اقر السيد المسيح (عليه السلام) الجهاد في سبيل العقيدة وهو ما صورته الآيات التي جاءت في الإنجيل وعلى النحو الآتي: "ما جئت إلا لألقي سلاماً بل سيفاً"^(٢٥) و (...أظنون أنني جئت لألقي سلاماً، كلا أقول لكم بل سيفاً"^(٢٦)، وهكذا أمثال هذه الفقرات التي تشير إلى ضرورة الصبر والكفاح في سبيل العقيدة، فاعتناق الدين الجديد والاهتمام بالتوحيد جوهر الدين لا بالمظاهر فقط - كما فعل اليهود - لأنه سوف يسبب إيجاد خلاف بين الأسرة نفسها كالأب والابن، فلا بد من عدم الالتفات إلى هذا التفريق، وإنما الواجب هو جهاد النفس ومتابعة المسيح نفسه، والوقوف أمام المعتدين على دعوته.

ويؤيد الأستاذ الزحيلي ما جاء في إنجيل متي من يشير إلى صفة الكمال بهذه الآية " فكونوا انتم كاملين كما أن أباكم الذي هو في السماوات كامل"^(٢٧). وكذلك " إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجباً الحكم"^(٢٨) فهذا يلوح بان الغضب بالحق لا تثريب عليه من دلالة مفهوم المخالفة.

ففي معرض تفسيره للمصالحة يذهب احد آباء الكنيسة إلى بيان مفهومها عندما يعتبر أن المصالحة بين أبناء البشر هي مصالحة مع الله ويقرب هذه الفكرة من خلال وصفه لحالة ((صديقان اختلافا وتحولت العلاقة الوطيدة بينهما إلى قطيعة فأصبحوا غرباء، وهذه المقاطعة بينهما لا يمكن أن تنتهي إلا من خلال إصلاح ما دار بينهم من أسباب دعت للخصام، وبذلك فان عودة التناغم بينهما ستكون من خلال المصالحة، وهذا كله(على حد زعيمه)من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة، فالمسيح صالحنا مع الله وحقيقة احتياجنا للمصالحة ذلك لأننا انقطعنا بعلاقتنا مع الله،

وحيث أن الله قدوس، فإن اللوم يقع علينا، فخطيئتنا بالتخاصم والتباغض تجربنا بأننا كنا في عداوة مع الله، لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله (بموت ابنه)، فالأولى كثيراً ونحن مصالحوه نخلص بحياته))^(٢٩).

إن هذا التفسير المبسط للمصالحة في الديانة المسيحية يحيله قائله إلى الكتاب المقدس الذي يقر بان الله محبة، فالعداء يجب أن يتحول إلى علاقة محبة" لا أعود اسميكم عبداً، لأن العبد لا يعلم ما يعلم سيده، لكني سميتكم أحبباء لأنني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي"^(٣٠) "والمصالحة هي حقيقة مجيدة فقد كنا أعداء الله والآن نحن أصدقاؤه"^(٣١).

إن الديانة النصرانية وتأسياً لما تقدم توضح أن هناك مفهومين للمصالحة، الأولى هي: المصالحة مع الله من خلال الالتزام بما جاء به السيد المسيح (عليه السلام)، والثانية: المصالحة بين أتباع السيد المسيح والمسح والمفهوم الثاني مرتبط بالمفهوم الأول ولا يمكن فصلهما، وهذان المفهومان وردا في أقوال السيد المسيح (عليه السلام): "سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وإما أنا فأقول لكم أحبوا أعدائكم، أحسنوا إلى مبغضكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم"^(٣٢).

لم تدع الديانة النصرانية للانقسام، بل تميزت رسالة السيد المسيح والإنجيل بأنها رسالة (الأخبار السارة)، رسالة يحتاج إليها كل إنسان لأنها رسالة مصالحة، فعندما ولد السيد المسيح ترنمت الملائكة "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة"^(٣٣) حتى كانت تحية السلام بركة تخرج من فمه وفم تلاميذه والمسيحيين الأوائل. فأين العالم المسيحي اليوم من تعاليم هذا الدين الذي ركز على السلام والمصالحة؟.

المطلب الثالث: المصالحة في الدين الإسلامي

إن مبدأ المصالحة في الإسلام منهج جامع مبني على أسس وأركان محكمة تتربط فيه الجزئيات بالكليات ترابطاً منطقياً يستمد روحه ويقتبس مادته من الأصول الأولية والمبادئ العامة التي وضعت للحياة الإنسانية بمختلف تشعباتها، فهو منهج الهي موسى به ضمن نظرة شمولية عامة، من قوة عالمة بمدارك الأسرار خارج التعصب البشري والتفاوت الفكري للإنسانية، ولكي ندرك ذلك علينا أن نوضح دعوة الإسلام للسلام والمصالحة وشمولها وانسجامها مع عقيدة الإسلام ومبادئه.

يبين القرآن الكريم أساس الاختلاف بين البشر ومنشأه وطرق تجاوزه في كثير من الآيات، ويخصص آيات كثيرة للدعوة إلى المصالحة بين الناس ويجعلها تحتل مكانة مرموقة ضمن مقاصده النبيلة، ويعطيها فقهاً متكاملأً، وان الحديث عن المصالحة في القرآن الكريم يفرض الحديث عن الاختلاف بين البشر، ذلك لأن المصالحة لا تكون من دون اختلاف وخصام يوجب معه المصالحة .

ويُرجع الخطاب القرآني البداية التاريخية للاختلاف بين البشر لحظة نزول آدم عليه السلام إلى الأرض، إذا شكل الصراع أول مظهر من مظاهر العلاقة، وتجلت في قصة ولدي آدم (عليه السلام) قابيل وهابيل الذين وقع بينهم الاختلاف والصراع فقتل قابيل هابيل وكانت أول جريمة قتل بين البشر ولا زالت مستمرة إلى اليوم. ولذلك فإن أسس المصالحة في القرآن الكريم تبدأ من الأسرة باعتبارها أساس أي مجتمع، فقد ورد في العديد من الآيات القرآنية مرتكزات الأسرة السليمة المتحابية، والتي نظمت العلاقة بين الزوج والزوجة والأبناء والكيفية التي يتم فيها معالجة أي اختلاف قد يحدث بينهما.

وقد جاءت المصالحة في القرآن الكريم في مفهوم أعم واشمل هو مفهوم السلام، فقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالدخول في السلم الدائم بقوله: "يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة"^(٣٤) فالسلم هنا الصلح والوفاق وترك المنازعة والمحاربة^(٣٥). ويقول الرازي في تفسير هذه الآية: "أي كونوا موافقين ومجتمعين في نصرة الدين واحتمال البلوى، ولا تتبعوا خطوات الشيطان بان يحملكم على طلب الدنيا والمنازعة مع الناس"^(٣٦).

وأمر الله تعالى المسلمين بقبول طلب العدو للصلح ونبذ المنازعات، والعودة إلى المصالحة والمسالمة والوفاق بدلاً من الحرب والتخاصم والدمار، فقال سبحانه وتعالى في محكم كتابه: "وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم"^(٣٧). فهو أمر بقبول السلام إذا ما مال إليه العدو ورغب فيه، ويقول الرازي في تفسيره لهذه الآية: ((إذا مالوا إلى الصلح فالحكم قبول الصلح))^(٣٨) ويقول ابن كثير: ((إذا مالوا للمسالمة والمصالحة والمهادنة فاجنح لها ومل إليها وتقبل منهم ذلك، وذلك لما طلبه المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين المسلمين، أجابهم إلى ذلك - الرسول الكريم محمد ابن عبدالله - صلى الله عليه وسلم - مع ما اشترطوا من شروط))^(٣٩). ويقول الطبري في هذه الآية: ((وان مالوا إلى مسالمتك ومصالحتك ومشاركتك الحرب إما بالدخول بالإسلام وإما بإعطاء الجزية وإما بموادعة ونحو ذلك من أسباب الصلح فاجنح لها ومل إليها وابذل لهم ما مالوا إليه))^(٤٠)، ويشير الخطيب البغدادي في تفسيره ((إن تعبير القرءان بالجنوح عن الميل فيه إشارة إلى ترجيح داعي الصلح في الإسلام على داعي الحرب، فان الجنح والجنوح مأخوذ من الجناح فهو تعبير عن الميل إلى احد الجانبين المتقابلين داعي السلم وداعي الحرب))^(٤١).

وفي معرض بنائه لعلاقة المسلمين مع غيرهم من الملل والنحل قال تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم"^(٤٢). فهذا النص يوجه دعوة إلى الجماعات الإنسانية كافة بتوثيق سلامها والمحافظة عليه بالتعاون والتعارف والتألف ونبذ العدا، وان الاختلاف في الإقليمية والشعوب ليس موجباً للتنافر، لأنهم في الأصل كالأسرة المتكونة من ذكر وأنثى تعيش على المحبة والود^(٤٣). وبمثل هذه الدعوة للتعاون قوله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم

يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم إن تبروهم وثُقستوا إليهم إن الله يحب المقسطين" (٤٤).

إن هذه الآيات وما شابهها في القرآن الكريم تدل على عمق المصالحة وطلب السلام في الإسلام ورغبةً فيه، كما تدل على أن الله عز وجل ما خلق الخلق ليتخاصموا ويتقاتلوا، ولا أوجدتهم في الأرض ليفسدوا ويفنوا، وإنما خلقهم لغايات تقتضي أن يكون الأصل إبقائهم متحابين. لذلك عدَّ الإسلام النفوس كلها واحدة، وفي وزر الاعتداء عليها أوضح، أن من اعتدى على واحدة منها فكأنما اعتدى عليها جميعاً لأنه اعتداء على حق الحياة التي أكرمها الله. وإن أهم شرط لبسط السلام في الأرض هو المصالحة والحوار وتقبل الآخر وعدم الاعتداء عليه، فقيام السلام يتم بالمصالحة وبدونها ينتشر النزاع والتقاتل والإفساد في الأرض.

ومن السيرة النبوية العطرة نذكر بعض الأحاديث النبوية الشريفة ذات الدلالات الواضحة على طلب السلم وضرورة المصالحة، يقول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: " لا تتمنوا لقاء العدو وسألوا الله العافية " (٤٥). ففيه ينهى عن الرغبة في الحرب وتمنيها حتى مع العدو ويحفز على ضرورة دعاء المسلمين لله جل وعلا أن يديم نعمة السلام. وروي عن الصحابي الجليل عمار بن ياسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والإنفاق في الأقتار " (٤٦). فهو حض على مكارم الأخلاق وأتلاف النفوس ودعوة إلى المصالحة ونبذ العدا. وجاء بقوله صلى الله عليه وسلم: " تألفون الناس وتأنوا بهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم " (٤٧).

ولعل ما نستطيع التأسيس عليه في دعوة المصالحة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هو الآية الكريمة الجامعة المانعة لطلب المصالحة، إذ يقول سبحانه وتعالى: ((لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً)) النساء - الآية 114، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أدلكم على ما هو أفضل من الصلاة والصوم والحج قالوا بلا يا رسول الله قال إصلاح ذات البين)) رواه الإمامين مسلم والبخاري.

وتأسيساً لما تقدم، فإن الأديان السماوية جميعها تؤكد رسالة التوحيد والسلام والمحبة والتآخي وتنشد للعيش السعيد بين أبناء البشر بمختلف ألسنتهم ومشاربهم الثقافية والتنوع العرقي والعقائدي وهذا دليل على الرغبة الجادة في إشاعة روح التسامح وصدق المصالحة في رسم خارطة طريق لإقامة السلام في ربوع الإنسانية جميعاً.

المبحث الثاني المصالحة وبناء الدولة الحديثة

يؤكد علماء الاجتماع ومن بعدهم علماء السياسة على أن المصالحة الوطنية وفض الخلاف مع الآخر في ظل الدولة الحديثة يعني "وجود نواة مشتركة لفئات متناقضة في محيط معين، تقبل آراء بعضهم البعض وتهضم الاختلافات فيما بينهم بعيداً عن التسلط والأحادية والتهميش والعنف من خلال الالتزام بمبدأ الاحترام المتبادل لحرية الرأي وطرق التفكير^(٤٨)، هذه الرؤية وأن قدمت مفهوم المصالحة مقابل مفهوم التعايش وأخذت العديد من تعبيراته أو دلالاته، إلا أنها لا تبتعد عن أسس ومبادئ المصالحة التي تحسم عند اختيارها لبناء علاقات بين المكونات الاجتماعية للشعب الواحد، وقدر الاستفادة منها ومن هذا التنوع في إثراء الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية للدولة.

فالمصالحة الوطنية مفهوم حضاري يؤسس لعلاقة سليمة داخل الإطار الواحد ويسهم في بناء الدولة وتطورها، ومما تقدم يتضح أن المصالحة ليست مجرد تعبير لمرحلة معينة، بل هي مشروع طويل الأمد وجد مرتكزاته ومبادئه في التعاليم الدينية، ومعني في المقام الأول بالحفاظ على الجماعة وإجماعها على القضايا التي تسهم في بناء الدولة. وفي هذا المبحث سنحاول تسليط الضوء على أبعاد المصالحة في بناء الدولة وتطورها، وسنركز وباختصارٍ شديد على البعد الاجتماعي والبعد الاقتصادي والبعد السياسي.

المطلب الأول: البعد الاجتماعي

يحتل البعد الاجتماعي الثقل الأكبر والحيز المهم لتحقيق مشروع المصالحة الوطنية في أي دولة ونعني بالبعد الاجتماعي، هو ما يتعلق بالمجتمع ومكوناته وتأثيرها بالنشاطات الاجتماعية وانعكاساتها اجتماعياً ونفسياً وأخلاقياً وسلوكياً للفرد والمجتمع على نحو شامل، فالنشاطات الاجتماعية تعكس وتترك آثارها وبصماتها على نفسية الفرد وعلى سلوكه بشكل تلقائي، ويزداد تأثيرها ويتعمق كلما كانت هذه النشاطات واضحة ومتجذرة عند المجتمع وكلما كان درجة مساهمها بمكونات المجتمع وثيقاً، ومن بين النشاطات الاجتماعية الهامة هي المصالحة، إذ تسهم في تشكيل رؤية الانسان وصياغة مفاهيمه عن الحياة في المجتمع، ومن ثم تنعكس على نمط علاقاته وأسلوب تبادله لحقوقه وأدائه لواجباته، كونها إحدى الموجهات المهمة للعلاقات الاجتماعية. وإلى جانب الدور الذي تلعبه

المصالحة الوطنية هناك عوامل ومؤثرات أخرى، تتفاعل معها وتتبادل التأثير والتأثر كالتربية والتنشئة الاجتماعية والثقافية والتي لا تخلو هي الأخرى في تأثير المصالحة عليها.

إن المصالحة باعتبارها موقف حضاري (كما سبق وذكرنا) ولأنها ليست شعارات تطلق، بل هي نسق بنائي وظيفي متكامل، يسير بتناسب طردي مع قبوله اجتماعياً، ولكون التنوع والاختلاف الديني والقومي والثقافي والمذهبي هو ظاهرة واقعية، فإن المصالحة واقع سياسي واجتماعي يسعى لخلق الانسجام بين مكوناته المختلفة، فالاستقراء التاريخي للمجتمعات المنسجمة غالباً ما يحيلنا إلى قدرة هذه المجتمعات على تجاوز خلافاتها، بعكس المجتمعات غير المنسجمة التي يغلب عليها عدم الاستقرار الذي تكونه تبعات اجتماعية واقتصادية وسياسية. وجاء في دراسة أجراها (Crestofer. D. Rianond, Doh.C.Shen) أستاذي العلوم السياسية في جامعة ميزوري في كولومبيا، لمعرفة دور الانسجام والمصالحة في بناء النظام الديمقراطي في دول العالم الثالث، وباستخدام مجموعة من البيانات المتعلقة بالتنوع والاختلافات التي جمعها أستاذ الاقتصاد بجامعة هارفرد (البرتو اليسينا)، توصلوا، إن إقامة نظام ديمقراطي في المجتمعات التي يندلع فيها العنف وليس هناك انسجام ورغبة في المصالحة يكون معدوماً أو مقتصرأً على أقلية مسيطرة، بعكس المجتمعات التي يسودها الاستقرار، إذ أن فرص نجاح الديمقراطية ومؤسساتها تكون كبيرة^(٤٩).

إن المجتمع بمكوناته المختلفة هو المعني بالمصالحة، لأنه هو المعني في بناء الدولة وتطورها، وهذه البديهية قادت الكثير من الكتاب إلى اعتمادها كأداة هامة في دعوى المصالحة أو التنقيف عليها، فالكاتب والتر روزنباوم. Walter.A. Rosenbaum، يعد الفاعل الاجتماعي الأساس الرصين والقوي الذي يستند عليه بناء الدولة المنسجمة الموحدة ويشير في هذا الخصوص إلى أن "الإرادة الوطنية المجتمعية تعمل على خلق الروابط الداعية أن الشعور بالاندماج داخل حدود الدولة"⁽⁵⁰⁾، ويضع بنروس E. F. Penrose اسلوبين لبناء الدولة الموحدة في ظل الاختلاف والتنوع، بعد أن يستبعد وجود دولة متماثلة قومياً أو دينياً أو ثقافياً، مؤكداً على الإرادة المجتمعية وهذان الأسلوبان هما^(٥١):-

الأول: إن الاتحاد السياسي والسيطرة على السلطة من خلال التأييد الشعبي يدعمها لنشر سيادتها على الإقليم وانجاز الوحدة الوطنية، خصوصاً بعد أن تتضح مزايا المشاركة المجتمعية في الدولة ومؤسساتها التي ستتم بها المكونات الاجتماعية المختلفة.

الثاني: تعميق روح المواطنة والبحث في الاتصال والانسجام بين مكونات المجتمع من خلال نشر ثقافة التسامح والمعاشية والمصالحة وتعزيز الروابط السياسية والاقتصادية، بحيث يؤدي هذا العمل بالتدرج إلى عمليات التواصل الاجتماعي وتأسيس شعور مشترك بمصالح مشتركة.

وعلى الرغم من أهمية البعد الاجتماعي في تحقيق المصالحة وديمومتها، فهذا البعد بحاجة إلى الاستنهاض بمعنى أكثر وضوحاً ودقة، ضرورة وجود فهم دقيق وشامل لثقافة المصالحة، فالثقافة هي التي تنمي الإرادة المجتمعية وتجعلها فاعلة، إذ بدون الثقافة يصبح العمل المجتمعي عملاً غير منظم (فوضوي) يضع هدف المصالحة جانباً ولا يعي الكيفية أو السبل التي تحققه، فضلاً عن الإهمال في استخدام الإمكانيات الشعبية لتحقيقه.

وإذا ما عدنا إلى التجارب التي بنيت بها الدولة الموحدة المنسجمة ومنها إيطاليا - مثلاً - فإن المثقفين الإيطاليين هم الذين قادوا الشعب وأشركوا كافة مكونات المجتمع الإيطالي بعد إيجاد حالة من الانسجام وتعميق المعرفة بمزايا الوحدة وبناء الدولة^(٥٢).

ولا مناص من التأكيد بان للمصالحة دور في تعميق أسس المواطنة، وتعميق الولاء الوطني، فإن التناصر والاختلاف والعنف يقود المواطن إلى البحث عن الوسيلة التي تحميه خارج نطاق الدولة وقد يجدها في الاصطفاف القومي أو الديني أو المذهبي، وهذا بدوره سيؤدي إلى تشرذم المجتمع وانقسامه، إذ يبدأ المواطن بالنظر إلى دولته من خلال طائفته أو قوميته مما ينتج تعدد الولاءات المشتتة لبناء الدولة، أما إرساء روح الانسجام والتعاون ووحدة المصير، فإنها تجعل المواطن ينظر إلى مكونه الاجتماعي من خلال دولته، فيكون الولاء للوطن قبل الولاء لهذا المكون أو ذلك.

المطلب الثاني: البعد الاقتصادي

تفيد النظريات السياسية لأصل نشأة الدولة، بأن الاقتصاد كان له أثر كبير في قيام الدولة، ففي كتابه الجمهورية يرى أفلاطون بأن قيام الدولة يعود إلى الحاجة، فالجماعات ظهرت نتيجة الحاجات البشرية المتعددة التي لا يمكن إشباعها إلا حين تتحقق فكرة اجتماع الناس ليكمل بعضهم بعضاً، فعجز الفرد عن إيفائه لنفسه دفعته ينشد العون والمبادلة مع الآخرين^(٥٣)، وهذا هو أصل نشأة الدولة، عند الفارابي، إذ يرى بأن "الاجتماعات الإنسانية كان سببها حاجة الناس بعضهم إلى بعض لتحقيق الاكتفاء والتبادل، وان هذه الاجتماعات هي أساس قيام الدولة"^(٥٤).

أن النظرية البنوية التي أبتكرها علماء الأحياء ما لبثت أن تحولت إلى الدراسات السياسية والاقتصادية للاستفادة منها في تعريف الدولة وبنائها وتماسكها خصوصاً إذا ما علمنا بأن مفهوم البنية يعتمد على أساسين هما^(٥٥):-

الأول: أن العناصر التي تكون أي جسم مهما كان نوعه عناصر مختلفة وغير منسجمة.

الثاني: أن هذه العناصر المكونة تتفاعل مع بعضها في إطار تطور الجسم وتحوله الدائم.

وقد قدم استناداً إلى النظرية البنيوية عدد من الاقتصاديين مراحل بناء الدولة ووحدتها من خلال مراحل يلعب فيها الانسجام دوراً فاعلاً في حياتها وحياتة مجتمعها، ومنهم الاقتصادي الألماني (شمولير Schmoller) الذي وضع أربع مراحل لبناء الأمة ووحدتها أو كما يسميها تماسكها البنيوي واضعاً شرط التصالح بين مكونات المجتمع كأساس لتقدمها ونموها وهذه المراحل هي^(٥٦):

- ١- مرحلة الاقتصاد المغلق (ليس هناك علاقة تبادل).
- ٢- مرحلة الاقتصاد الحضري (ميلاد الأسواق واستقرارها وتأسيس المدن).
- ٣- مرحلة الاقتصاد الوطني (ارتباط الإقليم بعضها ببعض لخلق كيان يمتاز بالانسجام والتوافق لتسهيل عمليات التبادل والانتقال والتواصل).
- ٤- مرحلة الاقتصاد العالمي "تدخل الدولة بعد وحدتها وتماسكها الداخلي في مبادلات مستمرة مع وحدات سياسية (دول) أخرى".

وعلى الرغم من ما تقدم يذهب (باريلوتشي Barrelutchi) إلى تقديم نموذج لأثر الأنساق والانسجام البنيوي للدولة في بنائها وتطورها، عادة المصالحة ونبذ الاختلاف أساس لاستقرار الدولة وتفاعل مكوناتها، إذ يرى بان هذا الانسجام يمكنه من السيطرة على ثلاث أنساق فرعية هي: السكان، الغذاء، الموارد، ثم يجري سلسلة من التفاعلات بينها ليصل إلى بعض التصورات لمواجهة أي أزمة يمكن أن تخلخل بناء الدولة، إذ يضع جملة أمور لتمكين الدولة من المحافظة على بنائها من خلال زيادة القدرة على استغلال الموارد والاستثمار والعدالة في التوزيع، وخلق التواصل الذي يؤدي إلى انصهار واندماج وتكامل المكونات الاجتماعية داخل الدولة، أما الاختلاف والتناقص وعدم القدرة على قبول الآخر فأنها ستؤدي إلى انهيار البناء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للدولة^(٥٧).

ففي الجزائر- على سبيل المثال لا الحصر- وبعد مرور أربع سنوات من وضع (ميثاق السلم والمصالحة) الذي جعلته السلطة الجزائرية، القوة الدافعة للإصلاح في محاربة الإرهاب، فإن الرأي السائد الآن، بان هذه السياسات بدأت تحقق نتائج ونجاحات، وخاصة على المستوى الاقتصادي، فقد أصبح الوضع المالي مستقراً، وارتفع احتياطي النقد الأجنبي إلى أكثر من (١٤٥) مليار دولار، مع انخفاض واضح للدين الخارجي إذ وصل إلى أقل من (٥) خمسة مليار دولار عام ٢٠١٠ بعد أن كان في حدود (٣٠) مليار دولار عام ١٩٩٩، ويرى الدكتور (مصطفى سايج) أستاذ العلاقات الدولية بجامعة الجزائر أن التحالف الحكومي الذي ضم الأحزاب الرئيسية الثلاث (حزب جبهة التحرير الوطني، والتجمع الوطني الديمقراطي، وحركة مجتمع السلم ذات التوجه الإسلامي) قد انطلق من قنوات تعطي الأولوية لبناء المصالحة الوطنية للخروج مما وصف في الجزائر من (المأساة الوطنية - الإرهاب)، مع دعم برنامج النمو الاقتصادي وشموليته في البناء والتطور^(٥٨).

وتعطي جمهورية جنوب أفريقيا مثلاً واضحاً على البعد الاقتصادي للمصالحة الوطنية بين المكونات الاجتماعية، إذ يتكون المجتمع من أكبر تجمع من نوي الأصول الأوربية في أفريقيا، وأكبر تجمع هندي خارج آسيا وأكبر مجتمع ملون (نوي البشرة السوداء) في أفريقيا، مما يجعلها أكثر الدول تنوعاً في السكان في القارة الأفريقية، ولكنها في ذات الوقت لم تشهد انقلاباً على الحكم، ونظراً لحالة الاستقرار السياسي والاجتماعي فيها، فقد كانت عامل جذب للاستثمار أسست بنية تحتية متطورة استطاعت من خلالها أن تخفض ديون القطاع العام التي بلغت ٦٠% من الناتج المحلي الإجمالي عام ١٩٩٤ إلى (٣٥%) من الناتج المحلي الإجمالي عام ٢٠٠٥ وقد تحسن وضع احتياطات العملة الأجنبية لدى البنك المركزي تحسناً غير مسبق، إذ تحول من عجز بلغ (٣٥) مليار دولار عام ١٩٩٤ إلى فائض بلغ (١٧،٢) مليار عام ٢٠٠٥، وقد ارتفع احتياطي العملات الأجنبية لدى البنك المركزي وللأعلى مستوى في تاريخ البلاد ليكفي غطاء استيراد لمدة ثلاث شهور في العام بعد أن كان يكفي غطاء استيراد لمدة شهرين في عام ٢٠٠٥^(٥٩).

في حين ذكر تقرير أعدة مجموعة من الخبراء الاقتصاديين الأوربيين والأفارقة ونشرته شركة فرونتير ايكونوميكس للاستثمار أن "التكلفة الإجمالية للحرب الأهلية في السودان تعدت مائة مليار دولار، وقد اقتطعت نسبة ٣٤% من الناتج المحلي الإجمالي كان الأخرى أن تتوجه إلى تنمية بلد يعاني من التخلف، فضلاً عن تصاعد التوترات في السودان سواء في جنوبه أم في إقليم دارفور جعل هذا البلد مكاناً خطراً للاستثمار وتراجع لطلب الواردات الضرورية للبناء والتنمية^(٦٠).

أن كثير من الدول تنقسم إلى أقاليم اقتصادية متنوعة، وإقليم مختص بالزراعة، وآخر بالصناعة، وآخر بالمواد الأولية، وآخر يمثل شريان الدولة التجاري، وأن التكامل فيما بين هذه الأقاليم ودفع العملية الاقتصادية في جميعها إلى الأمام يتطلب عنصراً حيوياً وهو الاتفاق والانسجام فيما بينها، وبعكسه في حال الصراع والاختلاف فإن هدر الإمكانيات وعدم الاستفادة من الإنتاج سوف يعود وإبله ليس على الأقاليم فحسب وإنما على الدولة وكافة مكونات مجتمعها، ولذلك بات واضحاً أن المصالحة لها دور في خلق حياة حرة كريمة.

المطلب الثالث: البعد السياسي

إذا كان البعد الاجتماعي كأحد شروط المصالحة يوفر الأرضية الشعبية ومدى قبولها، فضلاً عن ضرورة توافر ثقافة المصالحة، وإذا كان البعد الاقتصادي يوضح المردودات المادية للمجتمع على خلفية المساواة والعدالة والتنمية الشاملة، فإن البعد السياسي للمصالحة ركن هام، إن لم نقل أهمها، ذلك لأن إدارة عملية المصالحة الوطنية ذات شكلين، رأسي يبدأ من هرم السلطة نزولاً إلى القاعدة

الشعبية أو مكونات المجتمع، وأخر أفقي في شموليته وعدم استثنائه لجهة أو طرف أو مكون، وفي الشكلين العمودي والأفقي يكون دور السلطة السياسية هاماً ومحورياً. فقد كتب قديماً الفيلسوف الإغريقي (أيسو قراط) بان المجتمع السياسي وفاعليته في تحقيق رضا المحكومين (والذي عرف فيما بعد بالشرعية) واشتراكهم جميعاً في إدارة الدولة والاعتزاز بصفة المواطنة (الدولة - المدنية)، إنما يتوقف على خصائص القائد السياسي، الذي يجب أن يتصف بصفات ست هي (**الفضيلة، الحكمة، العدالة، الصلاحية المهنية، الثقافية، الخبرة**)، وان حركته السياسية يجب أن يسيطر عليها مبدأين، الفصل بين انتمائيه الفئوي وشمولية مكانته، والعناية بالإدارة الحكومية، الأمر الذي يجعل الآخرين أي أولئك الذين تدور في أذهانهم فكرة الاندماج السياسي والمشاركة ينظرون إليه انه الزعيم الصالح لتحقيق التوافق والانسجام بين مواطني الدولة^(٦١).

وقد عد كاتل (catell) الوظائف السياسية بتلك الوظائف التي تتطابق تمام التطابق بين نوعين من الطاقة هما:-
الأول: ويسمىها (الطاقة الفاعلة) التي تنجم بشكل مشترك عن الجماعة البلوغ أهداف منشودة.

الثاني:- ويطلق عليها (الطاقة الحافظة) التي تبذلها الجماعة للمحافظة على ائتلافها واتساقها في مجتمع متصلح متوافق الرغبات والأهداف^(٦٢).
ولعلنا لا نبالغ في القول، بان من أهم متطلبات المصالحة الوطنية تكمن في قدرة النظام السياسي على تحقيق التفاعل والاندماج بين مكونات المجتمع، وتأسيس رؤى مشتركة قائمة على أساس المشاركة والشرعية والعدالة في التوزيع وغيرها. وهذا بدوره يقودنا إلى القول بان البعد السياسي يأخذ في اعتباره حقيقتين أساسيتين هما^(٦٣):-

الأولى: الأهمية المحورية للنظام السياسي بوصفه أحد مكونات البنية الفوقية للمجتمع.
الثانية:- الترابط بين النظام السياسي والقوى الاقتصادية والاجتماعية المكونة لشعب الدولة.

فهاتان الحقيقتان توضحان بدورهما فعالية النظام السياسي في صيانة المجتمع وجمع أركانه، فعدم الفاعلية يؤدي إلى وصول الاختلاف والتنازع بين المكونات إلى مؤسسات النظام ذاته، سيما وأن عدم الفاعلية هذه تقود إلى انعدام الروابط المشتركة سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً بين الفئات الاجتماعية والدولة والقانون والقوة وغيرها من مكونات البنية السياسية، والتي تقود بدورها إلى تنامي شعور الاختلاف والنزاع لدى بعض المكونات وسعيها إلى تكوين ولاءات جديدة خارج نطاق النظام السياسي مما سينتج ضعفاً لوحدة الدولة^(٦٤).

ففي الكونغو - على سبيل المثال - تميز العنف السياسي فيها بطابع أثنى واضح، إذ أنهم الإنقلابيون رئيس الوزراء (ميلونجو) العمل على تأجيج المشاعر الأثنية بين

أهالي الشمال والجنوب ووقوفه إلى جانب الجنوب حيث مسقط رأسه، وفي العام ١٩٩٣ كان البعد السياسي الأثيني أحد عوامل تفجير الصراع المسلح والاضطرابات التي أخذت شكل الحروب القبلية^(١٥).

أن تحقيق المصالحة الوطنية وانخراط كافة المكونات الاجتماعية في العملية السياسية سيوفر الشرعية للنظام السياسي ويمكنه من بسط نفوذه وسلطته والقانون على كافة أرجاء الدولة مما يمكن النظام السياسي من تحقيق الأتي:-

١. بناء المؤسسات السياسية الفاعلة التي تتمكن بدورها من تحقيق مطالب الجماعات والقوى دون اللجوء إلى العنف.

٢. إدامة وسائل الاتصال بين النظام السياسي والمجتمع، وقدرة النظام السياسي على إيصال مخرجاته (قرارات، توصيات، تعليمات) إلى مكونات المجتمع كافة وتفاعل الأخيرة معها.

٣. التماثل والانسجام الثقافي بين النخب السياسية والاجتماعية.

٤. تبني النظام السياسي لسياسات لا تقوم على الولاءات الضيقة، بما يكرس مصالح الجماعات الأثنية والقومية والدينية والطائفية على حساب جماعات أخرى، مما يؤدي إلى المساواة والعدالة والإحساس برضا المحكومين على الحاكم كأحد شروط (الشرعية).

الخاتمة

أن التنوع بمعنى الاختلاف الديني والقومي والثقافي هو ظاهرة واقعية ملموسة وان التعددية هي نظم القيم والمواقف والمؤسسات والعمليات التي يمكن أن تترجم هذا الواقع المتنوع إلى تماسك اجتماعي مستدام واستقرار سياسي يتيح الشروع في برامج التنمية والتقدم، فظاهرة التنوع داخل المجتمعات سمة دائمة لكل المجتمعات الإنسانية في كل مكان وفي كل زمان، ويتجلى هذا التنوع في مختلف الاشكال والتفاعل فيما بينها داخل المجتمع الواحد، وان خلق الظروف الملائمة لسيادة التعاون والتعايش بين هذه المكونات سيؤدي إلى إثراء الحياة سياسياً واجتماعياً، إذ يصبح قيمة ايجابية، وبعبكسه يصبح هذا التنوع قيمة سلبية تهدر الإمكانيات وتؤدي إلى أن يعيش المجتمع في دوامة من العنف والعنف المضاد.

لقد تجلى لنا من خلال البحث أن المصالحة ليست مطلباً أنياً، أو نوعياً، بل هي ضرورة من ضرورات التعايش المجتمعي أكدت عليها الأديان السماوية، وهي مطلباً ملحاً لبناء الدولة، فبين ضرورات الدين ومتطلبات بناء الدولة تظهر القيمة الحقيقية للمصالحة الوطنية، فضلاً عن كونها مطلباً إنسانياً وحضارياً يعكس قيم المجتمع في المحبة والإخاء والمساواة، مما يوفر حشد كل طاقات المجتمع دون أقصاء أو تهميش في بناء الدولة المتحضرة القادرة على الوقوف في وجه الأزمات من خلال استثمار التنوع المجتمعي لصالح بناء الدولة. فالمصالحة أذن ضرورة دينية ومطلب من مطالب بناء الدولة.

الحواشي والهوامش

- (١) احمد شلبي، مقارنة الأديان - اليهودية، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٢٤٦.
- (٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٩؛ كذلك أنظر: محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص ١٨٦-١٩٠ وكذلك ص ٢١٠-٢١٢.
- (٣) محمد خليفة التونسي، المصدر السابق، ص ١١١-١٢٢.
- (٤) يهوه: هو اسم الآله، يقول العقاد: هو اسم لا يعرف له اشتقاقه على التحقيق، فيصح انه من مادة الحياة ويصح انه نداء لضمير الغائب أي (ياهو)، وكلمة يهوا في العبرانية معناها الإله أو السيد أو الاثنان معاً السيد الإله. انظر: احمد شلبي، المصدر السابق، ص ١٥٠.
- (٥) الجوييم: يقصد بهم الكفرة الوثنيون ويعنون بهم كل من ليس يهودياً، وتعني أيضاً العامة والإتباع فاليهود - حسب زعمهم - هم الخاصة والأصل وغيرهم خلق تبع لهم من أجل خدمتهم. للمزيد يراجع: احمد شلبي، ص ٢٥٣.
- (٦) المصدر نفسه، ص ٢٤٧.
- (٧) العهد القديم، سفر التثنية، إصحاح ١٣، آية ١٥-١٦.
- (٨) المصدر نفسه.
- (٩) العهد القديم، أشعيا، إصحاح ٩ / آية ٦، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (د.ت).
- (١٠) المصدر نفسه، أس إشبعيا، إصحاح ٩ / آية ٨.
- (١١) رشاد عبدالله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، القاهرة، دار الهلال، ٢٠٠٢، ص ١٢.
- (١٢) الشتتل: تعني المدينة الصغيرة وهي عبارة عن تجمع سكاني في اليهود يتراوح بين ألف وعشرين وتختصر الحياة فيه بين البيت والسوق والمعبد؛ أما القاهال: فهي كلمة عبرية تعني جماعة كبيرة من الناس في مكان واحد أو طائفة يهودية في ارض الشتات؛ والجيتو: فقد وردت آراء كثيرة في معناها ولكن الراجح منها مشتقة من كلمة (Judace) أي مكان سكن اليهود في بداية القرن السادس عشر في ايطاليا أو من الكلمة العبرية (جت) الواردة في التلمود وتعني (الانفصال): للمزيد ينظر: المرجع السابق، ص ١٢-١٣.
- (١٣) العنف الصهيوني وتجديد الشخصية اليهودية. www.itihad.org
- وكذلك: معالم الشخصية اليهودية www.fag-n.net
- (١٤) المصدر نفسه.
- (١٥) وليم ماكدونالد ولويس صليب، المصالحة. www.almasi7y.com
- (١٦) فتحي رضوان، مع الانسان في الحرب والسلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٤، ص ٥.
- * القول بالنبوة لله عز وجل رده القرآن الكريم في أكثر من موضع، قال تعالى: "وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا أبانهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا" سورة الكهف/ آية ١-٥.
- (١٧) العهد الجديد، إنجيل متي، إصحاح ٥- آية ٩.
- (١٨) المصدر نفسه، إصحاح ٥- آيات (٣٨-٣٩).
- (١٩) ايزيدور الاشبيلي، (٥٦٠-٦٣٦م) أسقف اسباني وعالم مشهور بدائرة المعارف التي وضعها بعنوان "الأصول" جمع فيها علوم عصره وهي تعد من أولى الموسوعات. للمزيد يراجع: محمد اشرف، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، مؤسسة فرانكلين، ١٩٧٢، ص ٢٨٥.
- (٢٠) محمد طلعت، الأحكام العامة في قانون الأمم، القاهرة، دار أطلس، ١٩٩٧، ص ٥٥.
- (٢١) المصدر نفسه، ص ٦٢.
- (٢٢) حامد سلطان، أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٧، ص ٤٣.
- (٢٣) يحيى أبو بكر، حقيقة الإسلام، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، (د.ت)، ص ١٤١.
- (٢٤) سورة الحديد، الآية/ ٢٧.
- (٢٥) إنجيل متي، إصحاح ١٠، آية ٣٨.
- (٢٦) إنجيل لوقا، إصحاح ١٢، آية ٤٩-٥١.
- (٢٧) إنجيل متي، إصحاح ٥، آية ٤٨.
- (٢٨) المصدر نفسه، آية ٢٢. وللمزيد ينظر: وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي _ دراسة مقارنة _، دمشق، دار الفكر، (د. ت)، ص ٣٧.
- (٢٩) جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، بيروت، الدار العالمية، ٢٠١٠، ص ١٤٥.

- (٣٠) إنجيل يوحنا، إصحاح ٥، آية ١٥.
- (٣١) إنجيل متي، إصحاح ٤، آية ٧.
- (٣٢) إنجيل متي، إصحاح ٢، آية ٢٤.
- (٣٣) إنجيل لوقا، إصحاح ٢، آية ١٤.
- (٣٤) سورة البقرة، آية ٢٠٨.
- (٣٥) الرازي، محمد المعروف بن فخر الرازي، التفسير الكبير، ج ١، دار الكتاب العالمية، بيروت، (د.ت)، ص ٣٥٨.
- (٣٦) الزحيلي، مصدر سابق، ص ٩٤.
- (٣٧) سورة الأنفال، آية/٦١.
- (٣٨) التفسير الكبير، ج ١٥، ص ١٨٧.
- (٣٩) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، القاهرة، مكتبة مصطفى، ١٩٦٨، ص ٦٣.
- (٤٠) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج ١٠، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢، ص ٢٤.
- (٤١) الخطيب، عبدالكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، بيروت، ج ١٠، ص ٦٥٠.
- (٤٢) سورة الحجرات، الآية/١٣.
- (٤٣) أبو زهرة: عزام، الإسلام عقيدة وشريعة، دار القلم، القاهرة، (د.ت)، ص ٤٦٤.
- (٤٤) سورة الممتحنة، الآية/٨.
- (٤٥) العسقلاني: احمد بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٦، مصطفى الجلي، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٤٩٧.
- (٤٦) المصدر نفسه، ص ١٩٧.
- (٤٧) أخرجه ابن عساکر: علاء الدين علي المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩، ص ٤٣٧.
- (٤٨) ر.بورون، بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٤٦.
- (٤٩) دوه. س.شين - وكيستونر. دي. رايموند، العنف الاجتماعي، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) الموقع: www.arbic - people.com
- (٥٠) Walter.A.Rosenbaum.Political culture. Pracger Publisher.1975.p77.
- (٥١) روبرت ماكيفر، المجتمع، ترجمة محمد العزاوي وأخرون، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، ١٩٧١، ص ٥٦١.
- (٥٢) المصدر نفسه، ص ٤٥٣.
- (٥٣) للمزيد يراجع: افلاطون، الجمهورية، ترجمة حنا خباز، دار النهضة، بغداد، ١٩٨٦.
- (٥٤) ينظر: ابو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٩.
- (٥٥) فتح الله ولعلو، الاقتصاد السياسي، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٧٣.
- (٥٦) المصدر نفسه، ص ١٨٠.
- (٥٧) وليد عبدالحى، مستقبل العلاقات الدولية، دار تينمل للنشر، مراكش، ١٩٩٦، ص ١٠٩.
- (٥٨) عام جني، ثمار المصالحة والتنمية الشاملة، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) الموقع: www.arabic - people.com
- (٥٩) لماذا الاستثمار في جنوب أفريقيا، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) الموقع: www.Saembassy.egypt.com
- (٦٠) تكلفة الحرب في السودان، جريدة الحياة اللندنية،
- (٦١) حامد ربيع، فلسفة الوحدة الوطنية، مجلة المنار، العدد/ ١٩، تموز ١٩٩٦، ص ٨.
- (٦٢) د. خليل أحمد خليل، العرب والقيادة بحث اجتماعي في معنى السلطة، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٨. وكذلك: بيار كلاستر، مجتمع اللادولة، ترجمة محمد حسين دكروب، الدار العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص ٩٨.
- (٦٣) Melvin.J.Dbindk.Thinking About National unity.Nuwyork.Jain Wiley and Sons.1986.p113.
- (٦٤) جلال عبدالله معوض، الفساد السياسي في الدول النامية، مجلة دراسات عربية، العدد/٤، شباط ١٩٩٧، ص ٢٠.
- (٦٥) الشيماء عبدالعزيز، الصراع السياسي في الكونغو - برازفيل، مجلة السياسة الدولية، العدد/١٣١، القاهرة، يناير ١٩٩٨، ص ١٢٤.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- التفاسير:

- (١) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٣، القاهرة، مكتبة مصطفى، ١٩٦٨.
- (٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١٠، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢.
- (٣) الرازي، محمد المعروف بن فخر الرازي، التفسير الكبير، ج١، دار الكتاب العالمية، بيروت، (د.ت).
- (٤) الخطيب، عبدالكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، بيروت، ج١٠.
- (٥) العسقلاني: احمد بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٦، مصطفى الجلي، القاهرة، ١٩٥٩.
- (٦) ابن عساکر: علاء الدين علي المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩.
- (٧) القديم، أشعيا، أصحاب ٩ / آية ٦، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (د.ت).

- الكتب

- (٨) احمد شلبي، مقارنة الأديان - اليهودية، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٦٢٤٦.
- (٩) أبو زهرة: عزام، الإسلام عقيدة وشريعة، دار القلم، القاهرة، (د.ت).
- (١٠) ابو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٩.
- (١١) افلاطون، الجمهورية، ترجمة حنا خباز، دار النهضة، بغداد، ١٩٨٦.
- (١٢) الشيماء عبدالعزیز، الصراع السياسي في الكونغو - برازيفيل، مجلة السياسة الدولية، العدد/١٣١، القاهرة، يناير ١٩٩٨.

- (١٣) بيار كلاستر، مجتمع اللادولة، ترجمة محمد حسين دكروب، الدار العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- (١٤) جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، بيروت، الدار العالمية، ٢٠١٠.
- (١٥) جلال عبدالله معوض، الفساد السياسي في الدول النامية، مجلة دراسات عربية، العدد/٤، شباط ١٩٩٧.
- (١٦) حامد سلطان، أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٧.
- (١٧) حامد ربيع، فلسفة الوحدة الوطنية، مجلة المنار، العدد/ ١٩، تموز ١٩٩٦.
- (١٨) خليل أحمد خليل، العرب والقيادة بحث اجتماعي في معنى السلطة، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٦.
- (١٩) رشاد عبدالله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، القاهرة، دار الهلال، ٢٠٠٢.
- (٢٠) ر. بورون، بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦.
- (٢١) روبرت ماكيفر، المجتمع، ترجمة محمد العزاوي وآخرون، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، ١٩٧١.
- (٢٢) فتح الله ولعلو، الاقتصاد السياسي، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٦.
- (٢٣) فتحي رضوان، مع الانسان في الحرب والسلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٤.
- (٢٤) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
- (٢٥) محمد اشرف، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، مؤسسة فرانكلين، ١٩٧٢.
- (٢٦) محمد طلعت، الأحكام العامة في قانون الأمم، القاهرة، دار أطلس، ١٩٩٧.
- (٢٧) وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي _ دراسة مقارنة _ دمشق، دار الفكر، (د.ت).
- (٢٨) وليد عبدالحى، مستقبل العلاقات الدولية، دار تينمل للنشر، مراكش، ١٩٩٦.
- (٢٩) يحيى أبو بكر، حقيقة الإسلام، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، (د.ت).

- المواقع الإلكترونية

- (٣٠) العنف الصهيوني وتجديد الشخصية اليهودية. www.itihad.org
- (٣١) معالم الشخصية اليهودية www.fag-n.net
- (٣٢) المصالحة. www.almasi7y.com
- (٣٣) العنف الاجتماعي، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) الموقع: www.arbic - people.com
- (٣٤) المصالحة والتنمية الشاملة، (الانترنت) الموقع: www.arabic - people.com
- (٣٥) لماذا الاستثمار في جنوب أفريقيا، شبكة (الانترنت) الموقع: www.Saembassy-egypt.com

- المصادر الأجنبية

- (29) Walter.A.Rosenbaum.Political culture. Prager Publisher.1975
- (30) Melvin.J.Dbindk.Thinking About National unity.Nuwyork.Jain Wiley and Sons.198

abstract

The reconciliation Necessity Between The Religions and the Basic of Modern State

Dr. Talal .H. Khalel
Dr. hassan .T.Aumair

The Research explain the necessity of the peacemaking in the religion and the basic of modern state through Introduction and two main parts and conclusion as followed:

The Introduction shows the significance of the study and the reasons of choosing it aswellas the procedure followed:

Part one : demonstrate the reconciliation principles in the main religions through three topics : first topic discuss the Jewish thought in peacemaking and the factors that effect in the personality or Jewish character to reach peacemaking and their view about the peace in the world so they think that the peace taking its importance when they dominate over all the world and established the world government .

The second topic shows the Christian thought about reconciliation and the Holy book invitation to build the human brotherhood .

Third topic devoted to the Islam peace principles in the Holy Koran and the behavior of prophet Muhammad and the Muslim believers .

Part two: consecrate to the role of peacemaking in rebuilding the modern state through three topics : first topic discuss the economic dimension of peacemaking and its influence in the development procedures . second topic devoted to explain the social scope and finally the political dimension .

In the conclusion the researchers reach to pin pointed the necessity of peacemaking in the stability .development . prosperity of society .

